« لباسُ المجتمعِ في الأدبِ الأندلسيِّ، بين الهُويَّةِ والتَّقليد»

عمَّار عبد القادر محمَّد شبلي

الملخص

تناولت الدّراسة ثلاثة محاور وخاتمة، ركّز الأوّل على اللباس الخاص بالمناسبات السّعيدة، أما المحور الثاني فكان عن لباس الحِداد، في حين عرض المحور الثالث إلى اللباس الرّسميّ، من ذلك لباس الخليفة، ولباس القضاة والعلماء، ولباس العساكر. ووظف المنهج التحليليّ الاستقرائيّ في هذه الدّراسة التي عبرت عن هُوية المجتمع الأندلسيّ وتقاليده.

“The attire of the society in Andalusian literature, Between Identity and Tradition”

ABSTRACT

This study is founded on three axes and a conclusion. The first axis presented the attire in happy occasions, As for the second axes, it was about the mourning attire. The third axis presented formal attire, including the attire of the caliph the attire of judges and scholars and the attire of the soldiers. As for the adopted methodology, it was an analytical inductive method in this study which expressed the identity and tradition of the Andalusian society.

التمهيــد

يُعَدُّ اللباس مظهرًا من المظاهر الحضاريَّة، وهُويَّةً من هُويات المجتمع، إذْ أصبح اللباس وسيلة للتعرف إلى هُويَّة مجتمع ما، مثلما هي اللغة أو اللهجة أو العادات، أو الحِرف والفنون التي تشتهر بها بعض المجتمعات.

تعرض المجتمع الأندلسيُّ إلى عواملَ مختلفةٍ أثَّرت في لباسه وهندامه، منها عوامل داخليّة وأخرى خارجيّة، وخضع اللباس إلى مؤثرات مشرقيّة ولا سيما الأثر الذي تركه أبو الحسن علي بن نافع(ت243هـ) الملقب بـ (زرياب) في زيِّ المجتمع الأندلسي، إذْ((رأى أنْ يكون ابتداء الناس للباس البياض، وخلعهم للملوَّن من يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونية الشمسي من شهورهم الرومية، فيلبسونه إلى أول شهر أكتوبر الشمسي، منها ثلاثة أشهر متوالية، ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة، ورأى أن يلبسوا في الفصل الذي بين الحرِّ والبرد المسمَّى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخزّ والملحم والمحرر والدَّراريع التي لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض... وكذا رأى أنْ يلبسوا في آخر الصيف وعند أول الخريف المحاشي المرويَّة، والثياب المصمتة، وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة، وذلك عند قرس البرد في الغدوات، إلى أنْ يقوى البرد فينتقلوا إلى أثخن منها من الملوَّنات، ويستظهرون من تحتها إذا احتاجوا إلى صنوف الفراء)) [1] وهناك مؤثرات تتعلق بمجتمع البربر الذين اندمجوا في ذلك المجتمع، إذْ أصبحت هُوية اللباس في المجتمع واقعة بين التقليد والتأصيل.

المحور الأول: اللِّباس في المناسبات السَّعيدة

تختلف نوعيَّة الثياب من شخص إلى آخر، ومن طبقة لأخرى بناء على عوامل مختلفة تتعلق بثراء العائلة، ومكانتها العلمية في المجتمع أو المناصب التي تبوأها أفرادها، ودأبت المجتمعات الإنسانية على تخصيص ضرب من الثياب التي تُلبس في المناسبات السعيدة، خاصَّة عند الزواج، ففي المجتمعات الشرقيَّة غلب على فستان الزفاف قديمًا اللون الأبيض، واستمر ذلك إلى يومنا.

في حين ساد في الأندلس اللون الأحمر، وكان لونًا رئيسًا في زيِّ الأفراح، إذْ أشار إلى ذلك علي بن ظافر المصري (ت623هـ) في كتابه «غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات» عندما تنبَّه إلى طبع من أطباع أهل الأندلس في قوله: ((ومثال لما يكشفه التشبيه من عادات الناس قول ابن حمديس (ت527هـ) في تشبيه الكؤوس وقد ملئت خمرًا وصفت بفتيات حِسان يلبسن ثيابًا حمرًا في عرس يقول:

١. المقَّري، نفح الطيب، ٣/ 128.

[الكامل]

وَكَأنَّما صُوَرُ القِنانِي إذا مُلِئَتْ إلى لَهَواتِها خَمْرا

بِيْضُ الحِسانِ وَقَفْنَ فِي عِرْسٍ لَمَّا لَبِسْنَ غَلائِلاً حُمْرا

فنعلم أن الأندلسيين كانوا يميلون إلى أن تلبس الفتيات ثيابًا حُمرًا في الأعراس على خلاف العادة عندنا الآن من لبس البياض)) (2)

يشبه ابن حمديس اصطفاف الزجاجات المملوءة بالخمر الأحمر إلى أعناقها باصطفاف بفتيات حِسان يرفلن في الخمائل والحلل الحمراء، ويشبه – أيضاً- صفاء الزجاجة بشدة بياض هذه الفتيات، ويفهم كذلك من هذا القول أن الزجاجات الفارغات تشبه الفتيات العاريات، وأن الخمر جاء لباسًا ساترًا لهن.

ومن الذين أشاروا إلى استخدام المجتمع الأندلسي للون الأحمر في لباسه ابن حزم(ت456هـ) عندما وصف أثر اللباس الأحمر على النفس بقوله: (3) **[الطويل]**

إذا ما رأتْ عَيْنايَ لابِسَ حُمْرَةٍ تَقَطَّعَ قَلْبِي حَسْرَةً وتَفَطَّرَا

غَدا لِدِماءِ النَّاسِ باللَّحْظِ سَافِكًا وضَرَّجَ مِنْها ثَوْبَهُ فَتَعَطَّرا

يشبه ابن حزم الفتاة التي تلبس الثوب الأحمر بإنسان يبطش بالآخرين، ويسفك دماءهم بنظراته التي شبهت بالسيف، حيث صبغت الدماء ثوبه، وأصبحت رائحته ذكيَّة، وظل يتحسر وقلبه يتفطر؛ لصعوبة الوصول إلى هذه الحِسان المُحَلَّيات بالأثواب الحمر.

يشكل اللون الأحمر في فساتين الزفاف من خلال الأقوال السابقة هُوية من هويات المجتمع الأندلسي، على نقيض ما هو معمول به في المشرق من ارتداء للثوب الأبيض.

وتطرق ابن خاتمة الأنصاري (ت770هـ) إلى حبِّ الأندلسيين للون الأحمر وميلهم إليه في قوله: (4)

[السريع]

٢. (١) ابن ظافر المصري، غرائب التنبيهات، ص ٢٢؛ ابن حمديس، الديوان، ص ١٨٠؛ الشطر الأول في البيت الأول جاء فيه بعض الاختلاف في ديوان ابن حمديس (وكأنما صور القِنان وقد) .
٣. (٢) ابن حزم، الديوان، ص٦٨.
٤. (١) ابن خاتمة، الديوان، ص ١٠٩.

قَدُّكَ فِي مَلْبَسِكَ الوَرْدِيِّ	أمْ آسَةٌ تَخْتالُ فِي وَرْدِ
وَوَجْهُكَ الأَسْعَدُ مِنْ فَوْقِهِ	أمْ قَمَرٌ قَدْ لاحَ بالسَّعْدِ
ظَبْيٌ وأيْنَ الظَّبْيُ مِنْ تِيْهِهِ	وغُنْجِهُ والرّدْفِ والقَدِّ
يَخْتَالُ إذْ يَلْتاحُ فِي مَلْبَسٍ	كأنَّمَا حِيْكَ مِن الوَرْدِ
وَلَيْسَ صِبْغاً فِيه لكِنَّهُ	عِكْسُ شُعاعَ ذلكَ الخَدِّ

يخاطب الشاعر فتاة ويصف لباسها الأحمر المميز بأنه آسة في حديقة من الورود، ويرى أن هذا اللون منسوج من الورد الأحمر، ثم يقول إن احمرار خدِّ هذه الفتاة ما هو إلا انعكاس للون الثوب الذي ترتديه. وما يلاحظ أنَّ الشاعر لم يذكر اللون الأحمر مباشرة، بل استدللنا على ذلك بقوله في البيت الأخير عندما نفى ما يظهر على الخد بأنه صباغ، وأكَّد على أنه انعكاس للون ثوبها، وهذه إشارة صريحة إلى أنه يقصد اللون الأحمر. ويُستدل من ذلك أنَّ هذا الجنوح إلى اللون الأحمر في المجتمع الأندلسي تعبير عن هُويته التي تسهم العادات والتقاليد في تكوينها.

وما من شكٍّ في أن هذه اللوحة مستوحاة من وصف الطبيعة الأندلسية الخلابة، فحاك منها الشَّاعر الثياب التي تروق للناظر، حيث بدت منسجمة مع جماليات الموصوف، فحمرة الخد مستوحاة من حمرة الثوب، وهذا ما زاده جمالًا وبهاءً. ومن ذلك وصفُ نَوْر بهار في قوله: (5) **[البسيط]**

رَيْحانَةٌ فِي كُساها الخُضْرِ قَدْ طَلَعَتْ	كَأَنَّها الغُصْنُ في خُضْرٍ مِنَ الوَرَقِ
تَكَلَّلَتْ عِمَّةً حَمْراءَ وانْتَقَبَتْ	تَحْكِي الهِلالَ كَسَتْهُ حُمْرَةَ الشَّفَقِ

يشبه الشاعر هذه الزهرة بالريحانة التي بنضارتها واخضرارها تشبه فتاة لبست عمامة حمراء، وهو ما يشبه الطربوش الأحمر، ولم يظهر من وجهها إلا عيونها؛ فأصبحت كالهلال المكسُوِّ بالشفق الأحمر. وجاء هذا التشبيه محاكاة للباس الذي يغطي فروة الرأس عندما قرن الشاعر حمرة البهار بحمرة العمامة.

ويعزز هذا القول ميول المجتمع الأندلسي إلى اللون الوردي- أي الضارب للحمرة- في لباسه، وفي ذلك محاولة للتعبير عن هُويته.

٥. (١) ابن خاتمة، الديوان، ص ٢ . ١ .

وشُغف الأندلسيون بأناقة اللباس ونظافته والتنوع في الألوان، ولا سيَّما أيام الجُمع والأعياد، حيث اختصوا بلباس الغفارة، والطيلسان المحنك الذي شاع لبسه في صلوات الجُمع، (6) وقد وصفهم ابن الخطيب بقوله ((فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم أزهار ملونة))،(7) ولعل هذا الكلام لدليل على عشقهم إلى الألوان في المناسبات السارَّة، كما حرص الأندلسيون على ارتداء أجمل الثياب أيام العيدين، إذْ يقول ابن قزمان: (ت555هـ) (8) **[الرمل]**

كنريْد نلبس فذا العيْد	**مَحْشُواً جَدِيْد مُشَاكِلْ**
حَسَنُ التَّفْصِيْلِ مَلِيْحٌ جَيِّد	**واسِعَ التَّرْبِيعِ وكامِلْ**
لَوْ راه عَلَي قليْدٍ	**كي يكونَ لِحِسْن مايلْ**
كالحَيَا يَكْتبُ ويَقْرا	**ويراه مَرِيضٌ ويَبْرا**
مُتْقَنَ الخيَّاط مُحْكَمْ	**قَدْ حُرِز وَرَى وَمَقْدَم**

يعدد ابن قزمان مواصفات الثوب الملبوس في العيد، فهو على عدد من الطبقات، ويكون مرحرحاً، ومرصَّعاً بأشكال مختلفة من الحرير والمخامل، وقد حيك بإبرة خيَّاط حاذق، فأصبح كالكائن الحيِّ يكتب ويقرأ، ومنظره بهيجاً يُسعد مَن رآه.

وفي مقطوعة أخرى يوضح ابن قزمان هُوية ملابس العيد في قوله: (9) **[الرمل]**

الذيْ تَرا لِي ارشَدْ	**باللهِ قُولُ لي مَنْدامْ**
بهيذا البَيْرُون نُعَيِّد	**أو بذا التَّفْصِيْل مَتَ الشَّامْ؟**
والمذيَّل عِنْدكَ أجْوَدُ	**أوْ ذاكَ المَخروطُ الأكْمامْ؟**
أنا بالقَبَاطي مُغْرا	**إنَّها أشْكَلُ وأطْرا**
القَباطِي عِنْدِي أحْكَمْ	**لَسْ نريْدُ ثوْباً مُكَمَّمْ**

يبيِّن ابن قزمان صنوفًا من الثياب، وهي ما تشبه الموضة في أيامنا هذه، حيث يكون هناك نماذج لملابس العيد، من ذلك البَيرون، والمذيَّل، والمخروط، وفي النهاية يميل ابن قزمان إلى لبس القباطي.

٦. (٢) ينظر: سحر سالم، ملابس الرجال في الأندلس، صحيفة الدراسات الإسلامية، مجلد ٢٧، ص١٧٢.
٧. () ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٦٧/١.
٨. () ابن قزمان، الديوان، ص٦٦٢.
٩. () ابن قزمان، الديوان، ص٦٦٢؛ قُبطية: ثياب كتان بيض رقاق تُعمل في مصر، جمعها القَباطي والقُباطي، ابن منظور، لسان العرب، مادة قبط.

ويعرض ابن قزمان إلى لباس الفصول، ولا سيما في قوله ((إذا رأيت الخوخ والرمان، فكرْ في ثيابك أيُّها العريان)).(10)

وأشار ابن الخطيب إلى بعض صنوف اللباس ومناسبتها للشتاء وأخرى للصيف ((ولباسهم الغالب على طرقاتهم، الفاشي بينهم، الملف المصبوغ شتاء، وتتفاضل أجناس البزِّ بتفاضل الجدة والمقدار، والكتان والحرير، والقطن والمِرعزَّى والأردية الإفريقية، والمقاطع التونسية، والمآزر المشفوعة صيفًا)). (11)

- المحور الثاني: لباس الحِداد

اعتاد المجتمع الأندلسي ارتداء البياض أوقات الحداد على الأموات، على عكس المجتمعات المشرقية التي تتخذ السواد لباساً في المآتم والأحزان، إذْ خرج الفتيان الصقالبة عندما توفي الخليفة عبد الرحمن الناصر(ت350هـ) يرتدون الظهائر البيض، وكذلك عند مبايعة الحكم المستنصر (ت366هـ) في قصر قرطبة ارتدى أعمامه البطائن البيض تعبيراً عن حزنهم وأسفهم لذلك. (12)

ومن الأشعار التي تناولت الزيَّ الأبيض للتعبير عن هُوية المجتمع الأندلسي في أحزانه، قول أبي الحسن الحصري (ت488هـ): (13) **[الوافر]**

إذا كان البَياضُ لِباسَ حُزْنٍ ... بأنْدَلُسٍ فَذاكَ مِنَ الصَّوابِ

أَلَمْ تَرَنِيْ لَبِسْتُ بَياضَ شَيْبِي ... لأنِّيْ قَدْ حَزِنْتُ عَلى الشَّبابِ

يؤيد أبو الحسن البصري هذا التوجه عند الأندلسيين باعتمادهم اللون الأبيض نذيراً للحزن، لأنه يرى في ظهور الشيب علامة للحزن وتذكر الشباب والفتوَّة، ودخول مرحلة الشيخوخة. ويمهد ابن دحية لأبيات الحصري بقوله إن عادة لباس البياض في الأندلس استنت بقصد لمخالفة ما يلبس بنو العباس في حدادهم وهو اللون الأسود. ويقول آخر: (14) **[الوافر]**

ألا يا أَهْلَ أَنْدَلُس فَطِنْتُمْ ... بِلُطْفِكُمْ إلى أَمْرٍ عَجِيْبِ

لَبِسْتُم في مَآتِمِكُمْ بَياضًا ... فَجِئْتُمْ مِنْهُ فِيْ زِيٍّ غَرِيْبِ

صَدَقْتُمْ فَالبَيَاضُ لِباسُ حُزْنٍ ... ولا حُزْنٌ أَشَدُّ مِنَ المَشِيْبِ

١٠. () ابن قزمان، الديوان، ص١٠٦.
١١. () ابن الخطيب، الإحاطة،٣٦/١.
١٢. () ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٥٠٦/١، ويقال: ظهرتُ الثوب إذا جعلت له ظِهارة، وجمعها ظهائر، وبطنته إذا جعلت له بطانة، والبطانة أيضاً ما يلبس تحت الدروع، وجمعها بطائن، ابن منظور، لسان العرب، مادة ظهر، وبطن.
١٣. (١) ابن دحية، المطرب، ص٧٩.
١٤. (٢) المقري، نفح الطيب، ٣/ ٤٤.

ويقول ابن شاطر السرقسطي: (15) **[الكامل]**

قَدْ كُنْتُ لا أَدْرِي لِأَيَّةِ عِلَّةٍ — صارَ البياضُ لِباسَ كُلِّ مُصابِ

حَتَّى كَسانِي الدَّهْرُ سُحْقَ مَلاءَةٍ — بَيْضاءَ مِنْ شَيْبِي بِفَقْدِ شَبابِي

فَبِذا تَبَيَّنَ لِي إِصابَةُ مَنْ رَأَى — لبْسَ البَياضِ على تَوى الأَحْبابِ

يمكن استنتاج العامل الرئيس وراء اهتمام الأندلسيين باللون الأبيض واعتماده زيًّا رئيسًا في المآتم والأحزان، وهو الشيب الذي يرمز إلى الشيخوخة وأفول الشباب والحزن عليه، وقد اتضح ذلك من خلال الأقوال الثلاثة السابقة التي تحدثت عن الشيب وعن الأثر السلبي الذي يخلفه في النفس البشرية. مع أن الأندلسيين كانوا يرتدون اللون الأبيض في الصيف بسبب الرطوبة العالية في تلك البلاد، لأنه يجلب البرودة للأبدان؛ لكن أيام الأحزان اعتادوا فيها ارتداء الزيِّ الأبيض، وهو ما أصبح أمراً مختصاً بهم.

- المحور الثالث: اللباس الرَّسمي

تتبنَّى كلُّ دولة أزياء تختص بها من خلال تصميم معين يحمل دلالاتٍ ورموزاً تعبر عن هُوية الدولة وخصوصيتها، وللباس الرسمي صنوف مختلفة تتصل بكل شريحة، من ذلك لباس رجالات الدولة، ولباس العساكر ولباس الاستقبال.

المبحث الأول: لباس رجالات الدولة

يختلف اللباس أحياناً داخل الطبقة الواحدة في المجتمع نفسه، فأهل الأندلس يغلب» عليهم ترك العمائم، لاسيما في شرق الأندلس، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة، وقد تسامحوا بشرقها في ذلك، ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية، حضرة السلطان في ذلك الأوان، وإليه الإشارة، وقد خُطب له بالملك في تلك الجهة، وهو حاسر الرأس، وشيبه قد غلب على سواد شعره» (16) وكان الخليفة سليمان بن الحكم(ت407هـ) يلبس ((ثوب خزٍّ وعليه طاق خزٍّ ملون وأخروق وشي، ويرمي بثيابه على عاتقه)). (17)

وقد حافظت طبقة القضاة والفقهاء على ارتداء العمامة وذلك حفاظاً على الهيبة والوقار والتمييز لهم بين عامة الناس، وكان الكثير من العلماء يضعون الطيلسان على رؤوسهم ((ولا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم مَن يمشي دون طيلسان، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ

١٥. (٣) ابن دحية، المطرب، ص٧٩.
١٦. (١) المقري، نفح الطيب، ١-٢٢٢.
١٧. (٢) ثريا ملحس، أزياء المجتمع الأندلسي من ٩٢هـ ــ ٦٢٥هـ، مجلة كلية الآداب، عدد ٢ . ١، ص١٩٤.

المعظمون وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حُمراً، وخُضراً، والصفر مخصوصة باليهود، ولا سبيل إلى يهودي أن يتعمم ألبتة، والذؤابة لا يرخيها إلا العالم، ولا يصرفونها بين الأكتاف، وإنما يسدلونها من تحت الأذن اليسرى)). (18)

ولبس بعض القضاة قلنسوة في عهد الخليفة الحكم بن هشام الربضيّ(ت206هـ)، حيث كان محمد بن بشير يعقد حِلقاً لجلسائه في جامع قرطبة في إزارٍ مورّدٍ، ورداء معصفر، وشعر مصبوغ، وكان يصلي الجمع وعلى رأسه قلنسوة خزّ(19) وعندما ولي أبو المطرف عبد الرحمن بن عيسى(ت402هـ) القضاء ترك زيَّ الوزراء وارتدى زيّاً أخضر وهو زيُّ الفقهاء.(20)

المبحث الثاني: لباس العسكر

تأثر الأندلسيون في زيهم العسكري بجيرانهم القشتاليين، واتخذوا الدروع والتروس كما هي عند القشتال.(21) وتأثر لباسهم العسكري وسلاحهم بالنصارى، حيث جاء في نفح الطيب ((وكثيراً ما يتزيا سلاطينـهم وأجنادهم بزيِّ النصارى المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم، وأقبيتهم من الإشكرلاط وغيره كأقبيتهم، وكذلك أعلامهم وسروجهم، ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن، ولا يعرفون الدبابيس، ولا قِسي العرب؛ بل يعدون قسيَّ الإفرنج للمحاصرات في البلاد، أو تكون للرجَّالة عند المصافقة للحرب، وقليلاً ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم؛ لأن يوتروها)).(22)

أما في استقبال الشخصيات الرسمية اعتاد الأندلسيون الميلَ إلى البنود المصورة، وإلى اللون الأبيض في لباسهم وتروسهم، لأنه مثَّل لهم رمزاً للطهر والنقاء، ففي استقبال الوزير غالب بن عبد الرحمن قادماً من برِّ العُدوة لوحظ أعداد من الجند ((العرفاء المدرعين ثم دخلوا بين صفي فرسان الخمسيين، وعبيد الدَّور والعبيد الرماة، وعلى جميعهم الدروع البيضات، ثم نهضوا بين ترتيب العبيد

١٨. (٣) المقري، نفح الطيب، ١- ٢٢٣، الطَّيْلَسان: ضرب من الأكسية، ابن منظور، لسان العرب، مادة طلس، الطيلسان: بفتح الطاء وسكون الياء وفتح اللام والسين، وهي كلمة فارسية معرَّبة وأصلها بالفارسية تالشان وهو كساء مدوَّر أخضر لا أسفل له، لحمته أو سداه من صوف يلبسه خواص من العلماء والمشايخ، ومُفسِّر بكساء يلقى على الكتف كالوشاح، ويحيط بالبدن، خال من الصنعة كالتفصيل والخياطة، من ألبسة العلماء في العصر الإسلامي، كان يُتخذ على الأغلب من القماش الأخضر، ويعرف في مصر والشام بالشال، والطيلسان هو الطرحة التي توضع على الرأس والكتفين فقط... وفي الأندلس كان أكثر عوام أهل الأندلس يمشون دون طيلسان، ولا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظمون، ينظر: إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٣٠٦ الغفائر: جمع غفارة وهي قطعة من القماش تضعها المرأة على شعرها تحت الخمار؛ كي لا يتسخ ويتبقع من الطيب والزيت الذي كان يُرشُّ على شعرها، ينظر: دوزي، المعجم المفصل، ص ٢٥٥، وهو كذلك ما يلبس تحت العمائم عند الرجال.

١٩. (١) الخشني، تاريخ قضاة قرطبة، ص ٧٦-٧٩، القلنسوة: من ملابس الرؤوس معروف، وتجمع على قلاس، وقلانس، وقلاسي، وجاء في اللسان أن القلاسي إذا نزعت عن رؤوس الرجال وظهر صلعهم، ففي النساء عنهم حسور أي فتور، ابن منظور، اللسان، مادة قلس.

٢٠. (٢) ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ١/ ٢٧٤.

٢١. (٣) أبو زيد، الحياة الاجتماعية في الأندلس، ص٢٩٩.

٢٢. (٤) المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٢٢؛ الإشْكَرلاط: من الإسبانية ESCAR-LATA بمعنى قرمزي، هو نوع من الجوخ، لونه قرمزي، قيل عن أحد أمراء المماليك، إنه كان لباسه أحمر اللون، وعليه فرو سنجاب، وفيه بكلة ذهب، وكان هذا النوع من الجوخ معروفاً عند الأندلسيين؛ ينظر: إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٣٤.

الجعفريين، وقد لبسوا الأقبية البيض، وعلى رؤوسهم مقاريف الوبر متنكبين قِسيهم وكنائنهم، ثم ساروا بين تعبئة الفرسان المدرعين الذين بأيديهم القنا المجردة...ثمَّ انتقلوا إلى صفَّيِّ أصحاب البنود والرايات الرفيعة اللِّبسة الرائقة الخلعة، وما معها من الرايات المصورة من صور الأسْد والنمور والثعابين والعقبان وغيرها من التصاوير الهائلة)). (23)

الخاتمـــة

حافظ الأندلسيون على اللباس المشرقي الذي يعد تقليداً خاصاً بهم وهوية تعبر عن بقعة جغرافية معينة مدة طويلة، وقد كان لدخول زرياب الأندلس أثر كبير في فرض ذوقه على أهل الأندلس في المأكل والمشرب والملبس، وأصبح هندامه قدوة يحتذى بها.

أمَّا اعتمادهم اللون الأبيض في الحداد فقد ارتبط غالباً بالشيخوخة وأفول الشباب، لأن الشيب دلالة على ذلك، حيث تجلى هذا الأمر في عدد من الأبيات الشعرية.

وجرَّاء الاندماج في المجتمع حدث التأثير والتأثر، وأصبح اللباس مصنفاً طبقاً للوظيفة، فمنه لباس الحرب، ولباس القضاة، ولباس العوام، وكذلك اللباس في المواسم والفصول، حيث صمم بناء على عوامل مختلفة، منها المناخ والطقس، إذْ أصبح اللباس في الأندلس مزيجاً بين ما هو مقلَّد، وما هو أصيل.

٢٣. (١) ابن حيان، المقتبس، ١٥٤.

مصادر البحث ومراجعه

- إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2002.
- ابن بسّام، أبو الحسن علي(ت542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1998.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود(ت578هـ)، الصلة، ضبط وتعليق جلال الأسيوطي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد(ت456هـ)، الديوان، تحقيق عبد العزيز إبراهيم، ط1، دار صادر، بيروت، 2010.
- ابن حمديس، أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر(ت527هـ)، الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، دت.
- ابن حيَّان، أبو مروان حيان بن خلف(ت469هـ)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح صلاح الدين الهوّاري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.
- ابن خاتمة، أحمد بن علي(ت770هـ)، الديوان، تحقيق محمد رضوان الداية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، إحياء التراث القديم، دمشق، 1972.
- الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد(ت361هـ)، قضاة قرطبة، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، بيروت، 1982.
- ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطي(ت776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرح يوسف علي طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- ابن دِحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي(ت633هـ)، المطرب من أشعار أهل المغرب، شرح صلاح الدين الهوَّاري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2008.
- دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، وزارة الإعلام، بغداد، 1971.

- أبو زيد، سعيد سيد أحمد، الحياة الاجتماعية في الأندلس في عصر الموحدين والمرابطين، الهيئة العامة للاستعلامات، ط1، القاهرة، 1996.

- سالم، سحر عبد العزيز، ملابس الرجال في الأندلس، صحيفة الدراسات الإسلامية، مجلد27، مدريد، دت.

- ابن ظافر الأزدي المصري، علي (ت613هـ)، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي، دار المعارف، القاهرة، 2009.

- ابن قزمان، أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى(ت555هـ)، الديوان، فردريكو كورينتي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1980.

- المقّري، أحمد بن محمد المقري(ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ط5، دار صادر، بيروت، 2008.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين(ت711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 2004.

المجلات

- ثريا ملحس، أزياء المجتمع الأندلسي من 92هـ ــ 625هـ، جامعة ديالى، مجلة كلية الآداب، عدد 102، ص194.